قصاص من جيل بلا أساتذه

بقلم : محمد عبد الحليم عبد الله

عند ما يشيع بين الناس ـ ولو زورا وبهتانا ـ أن بعض النقود الزائفة طرحت في السوق ... يبدأ كل الناس في فحص ما بين أيديهم . يحملقون في كل (ورقة) ويختبرون كل (قطعة) حتى ولو كان الأمر مجرد اشاعة ..

ومنذ قدم استاذنا محمود تيمور قصة محمد القرش وقامت حولها الضجة المعروفه فانا اضحك ملء قلبي . لانني ـ ولو سلمت جدلا ـ بما نسب لهذا الأديب العاثر الحظ فاني ارى أن من طبيعة المجتمعات النكوص عن حساب كبار اللصوص في الوقت الذي تضيق فيه الخناق على بريء لا يملك المال الذي يخدم قضية براءته .

وقد عمدت أن القي بكلمة حول ما قلت تمهيدا لما سأقوله عن قصة سأقدمها في هذا العدد . وذلك لسببين :

أولهما : ان كلمة محمد القرش في عدد سابق من مجلة « القصة » لمست قلبي . فقد كان دفاعه عن نفسه طلقات في كل اتجاه اصاب بعضها صدره شخصيا . والمسألة في رايي ما كانت تستحق كل هذه الدموع من (المتهم) ولا كل هذه الصرخات من (ممثل الاتهام) اللهم الا اذا كانت حياتنا الادبية صورة من حياة المجتمعات العامة وليست ذات ضمير خاص ... بمعنى انها تكرم اللص الكبير وتعلق حبل المشنقة لمن لا يملك وسيلة للدفاع عن براءته لانه صغير .

والسبب الثاني للخوض فيما قلت : انني سأقدم قصة القصاص « محمد حافظ رجب » ... احد الذين اطلقوا على انفسهم اسم « جيل بلا اساتذة » وليس بعيدا ان يخلقوا منه « قرشا » آخر . ويجعلوا القصة عملة زائفة .

ويقف (ممثل اتهام) جديد وقد انتشى (بالروب) يرغي ويزبد مناديا بالقبض على لص جديد . وعند ذلك ـ لا سمح الله ـ سترى مجلة القصة نفسها مضطرة لانتداب بعض (موظفي تحقيق الشخصية) لرفع « بصمات » كثير من المؤلفين كما تفعل الحكومة في حوادث السطو على (الخزائن) .

ويجدر بالذكر ان (البصمات الادبية) فيها مجال للتشابه وان من الممكن

بسبب كثير من المسرحيات التي عرضت هذا العام الى اصول شرقية او غربية ونسب كثير من الروايات (والقول الروايات لا القصص القصيرة) الى اصل شرقي او غربي . وبذلك تتحول جميعا الى نصوص .. ليس اشرفنا اقلنا سقوطا بل اشرفنا اعظمنا سقوطا ، مادمنا سنجعل مجال المفاخرة هو عدد « السوابق » يا سيادة ! !

واحب ان امهد بتمهيد جديد لقصة حافظ رجب هو ان سبب تقديمي لها انما هو اقتناعي بالمبدأ الذي اتخذته مجلة « القصة » من تقديم الكتاب الشباب ـ وايضا اقتناعي الشخصي بالقصة ذاتها « الكرة .. وراس الرجل » . وايضا عقيدتي ان الأستاذ يوسف السباعي قد كان صائب الرأي حين نقله الى مجلس الفنون . وايضا ان هذا الكاتب الشاب يعيش في ظل « الصمت » في الحياة ادبية . « الصمت » الذي يراه المغني والممثل المجيدين من جمهور لاه او متآمر فيأخذ الممثل او المغني في الصراخ ليحرك الجمهور او يبدد الصمت . وايضا لان الادباء الشباب غير قادرين على احتمال مؤامرة « الصمت » فهم يفضلون صفير السخرية على السكون الشامل لانهم يضعون الاحجار الأولى في بناء حياتهم الأدبية ويتخذون من الوسائل ما يعتقدون انه كفيل بانجاح بنائهم . وايضا لان كثيرا من الكتاب المشهورين لا يحتملون « الصمت » بل لان كثيرا من الكتاب المشهورين لا يحتملون فتور الضجيج ويرون ان حياتهم الأدبية تستمد انفاسها من الشخاليل والجلاجل والدفوف ... من الضجيج ! !

وايضا لانه اصبح من المألوف في حياتنا اليوم ان يصطنع كل كاتب ناقدا . وقد فضلت استعمال كلمة « يصطنع » مع انها غريبة بعض الشيء لانها هي القادرة على اداء المعنى ...

وقد حرصت مجلة « القصة » على تقديم باب للنقد بمواصفات جديدة يحمل ميزانا لا جور فيه فعسى ان يوفقها الله .

لكن الذي اكتبه عن حافظ رجب ليس كتابة ناقد عن اديب لان هذا في رايي عمل يحتاج الى تدريب « نفساني » لا اطيق احتماله ولكن الذي اكتبه عنه يندرج تحت اي عنوان ... ربما كان تأملا لعمل فني اعجبني فليس الحكم على جمال المآذن وابراج الكنائس وقفا على بنائها من المهندسين والا كان معنى هذا انهم بنوها لانهم مهندسون ولكن عندما ينتقل الاحساس بالجمال من الخلاق الى المتذوق ببساطة وسرعة وعذوبة ويأخذ صياغة الدوام ـ كان معنى ذلك ان العمل جليل ... وجميل .

هذا هو رايي . ومن اجل ذلك سأقول رايي . وعند ما يتحرش بعض الناس بمؤلف كل قصة تقدم ليجعلوا منه (فرشا) آخر فان مجلة « القصة » ستضاعف بصمات كثير من المشهورين على قصصهم ببصمات كتاب اجانب خصوصا في

المسرحيات . ومعنى ذلك مرة اخرى اننا سنحظر على الكاتب العربى تصوير اية مشكلة من « كافر » جديد مع أن اختلاف « الكافر » هو الصفة الوحيدة للكاتب .

* * *

القصة نصفها حلم ونصفها حقيقة . ويلاحظ ان الحقائق فيها عليها تهويمات الاحلام . وان الاحلام فيها مجسدة مثل الحقائق .

اراد الكاتب فيها ان يقول ببراعة « من الممكن جدا ان يحتشد جمهور الكرة حول راس المفكر وعند ذلك سيكون الجمهور هو الفائز وصاحب المكسب . وان المستقبل سيحقق هذا الحلم لكن بعد عذاب ... »

هذا هو ما اراد الكاتب ان يقوله . نعم . وقد بداها « بالحلم » عند ما طلب من الشرطى أن يدخل الى الملعب ليسترد راسه . ثم انتقل الى الحقيقة عند ما بدا يتحدث عن المجانة التى احتجبت عن الظهور لانشغال الناس برؤية الصراع حول الكرة عن رؤية الصراع حول الفكرة مع وجود شبه غريب بين الكرة والراس .

وجو القصة فى عمومه صادق ... صادق جدا . صادق الى درجة شممت منها رائحة الحبر والفكر فى المطبعة التى بعت وبقى مكانها برميل فارغ . ورائحة عبار الملعب الذى اثاره الاقدام وصفير اللاعبين الذى صم اذنى ...

والنظارات الطبية وعلاقاتها بالمفكرين ...

كل هذا اعجبنى

والرجل الذى يتحول من عمل الى عمل لانه لا يؤمن بنوع من العمل وان يؤمن بلذة المعدة ولذة الانف ولذة الفم . المحرر الذى اشتغل معلقا رياضيا ... بديع . وبديع أن يدوس رئيس التحرير انفه مع القرنطة الحمراء ...

وقد رايت حافظ رجب شخصيا فى القصة وهو يقول « ماء ... ماء » رايته سحريته حتى من نفسه . ورايت اندفاعه شخصيا وهو يمسك بالكرة فى الملعب وسط الاف من الناس وليكن ما يكون كل هذا ليجعل الجمهور يصغى اليه وليقول لهم ما يريد .

ان عنوان القصة (واقعى) ونسجها ينتمى لشىء غريب ... لا اريد ان اقول (اللامعقول) وانما استطيع ان اقول ـ لاكرم المؤلف ـ انه صنع من مادة الاحلام واجسام الحقائق هذه القصة . وانها جاءت رائعة .

من الممكن ان تكون هذه القصة فوضى منظمة او نظاما مهرجلا فى هرجلته تلقائية عذراء جميلة .

وقد يصعب علينا ان نصف شيئا غير مفهوم تماما بعبارات مفهومة تماما . لكن كان كاتبها كانت تتناوبه اليقظة والنوم وهو حين يكتب دائما يكتب كتابة

صحيحة . وهو حين يكتب يقظا يكتب كتابة صحيحة . وعند نهاية القصة .. لم يستيقظ .. بل استغرق فى النوم تماما والقى القلم جانبا واستلقى على الكرسى الذى كان جالسا عليه ، حدث ذلك بالضبط عندما كتب آخر سطور القصة « فى الحقيقة انا اشعر بالسرور . فقد اثبت لهم ان راسى فى امكانها ان تقف مع الكره وهذا يكفى » !!

ثم استغرق المؤلف فى النوم واستمر فى الأحلام . لكن حلمه بالنسبة لما سمعه وهو يهمس به حقيقة جميلة ... مشرقة . يود له القارىء الا يقع فيها لانها مكاسب مشتركة .

والحوار .. الحوار .. ارض المعركة وسبب المشاكل بين هذا الجيل والجيل السابق واللاحق . ونقطة الارتكاز التى تشبه مسمار جحا فى قصة على احمد باكثير . والاسطورة القديمة . ما موقف هذا الكاتب الشاب من الحوار فى هذه القصة ؟!

اقرأ القصة ، سترى حوارا سهلا فصيحا عندما يؤكد ان لغتنا فى مرونة ماء الجدول . حوار يستحق عليه التحية .

واخيرا ... لم يكتب حافظ رجب هذه القصة التى اعجبتنى لانه بلا اساتذة . بل لان له اساتذة علموه ... التجربة والصبر وكلمات التقدير والرعاية التى نالها . اما اذا كان قصده انه يستمد امكانياته من داخله فذلك صحيح بالنسبة لكل الناس ـ فقد قرات حديثه فى مجلة الثقافة .

والتجربة الخارجية بالنسبة لكل الناس واحدة من حيث هى تجربة خارجية كرؤية السد العالى مثلا لكن للتجربة الخارجية ظلا تلقيه على النفس هو التجربة الداخلية او الشخصية ...

وهذه تختلف من شخص الى شخص وكل فيها تميز لنفسه اذا تنفسنا اننا مجموعة من معلومات ومأكولات ومخاوف وذكريات يخزنها عصب ويحيط بها جلد له لون اسمر او اسود او اصفر او ابيض .. اسمه الانسان .

****